الباب الأول

الفصل الأول

محاولات التفسير الأولى

أثار القرآن منذ اللحظات الأولى لنزوله حركة فكرية عند العرب ، ودعاهم إلى الالتفات إليه ، لما جاء به من جديد فى أساليب التعبير ، والبيان ، وعلّقت أفئدتهم وأسماعهم بما جمع من كلام رائع ، فلم يسعهم إزاءه إلا التسليم بروعة أثره فى النفوس ، وفى العقول ، واعترف بلغاؤهم وأولو الفطن منهم بذلك الأثر ، وتحيروا فيه ، فمن قائل إنه سحر ، ومن قائل إنه شعر ، ومن قائل إنه أساطير الأولين ، أو سجع الكهان .

والحق أنه كان شغل طوائف كثيرة من الناس فترة من الزمن ، شغل به أهل الإيمان وتتبعه أهل الكفر ، كل من ناحية اهتمامه .

وأول ما بدأت دراسات القرآن وتفسيره زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى عهده نرى أعرابيًّا يسأله فى معنى بعض ألفاظ القرآن ، فى مثل قوله تعالى : (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قائلا وأينا لم يظلم نفسه ؟ وفسره النبى (ص) بالشرك ، واستشهد عليه بقوله تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[1] . وروى عن النبى (ص) فى كتب الحديث ، كالبخارى ومسلم ، وغيرها كثير من الأحاديث التى تتعلق بتفسير القرآن ، وبعضها ينحصر فى ذكر فضائله ، وتفسير بعض

(١) مرآة التفاسير ط . الهند ١٣١٦ هـ - ص ٣ .

البابُ الأوّل

الفصل الأول

محاولات التفسير الأولى

أثار القرآن منذ اللحظات الأولى لنزوله حركة فكرية عند العرب ، ودعاهم إلى الالتفات إليه ، لما جاء به من جديد فى أساليب التعبير ، والبيان ، وعلّقت أفئدتهم وأسماعهم بما جمع من كلام رائع ، فلم يسعهم إزاءه إلا التسليم بروعة أثره فى النفوس ، وفى العقول ، واعترف بلغاؤهم وأولو الفطن منهم بذلك الأثر ، وتحيروا فيه ؛ فمن قائل إنه سحر ، ومن قائل إنه شعر ، ومن قائل إنه أساطير الأولين ، أو سجع الكهان .

والحق أنه كان شغل طوائف كثيرة من الناس فترة من الزمن ، شغل به أهل الإيمان وتتبعه أهل الكفر ، كل من ناحية اهتمامه .

وأول ما بدأت دراسات القرآن وتفسيره زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم — فى عهده نرى أعرابيًّا يسأله فى معنى بعض ألفاظ القرآن ، فى مثل قوله تعالى : (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قائلا وأينا لم يظلم نفسه ؟ وفسره النبى (ص) بالشرك ، واستشهد عليه بقوله تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[1] . وروى عن النبى (ص) فى كتب الحديث ، كالبخارى ومسلم ، وغيرها كثير من الأحاديث التى تتعلق بتفسير القرآن ، وبعضها ينحصر فى ذكر فضائله ، وتفسير بعض

(١) مرآة التفاسير ط . الهند ١٣١٦ هـ - ص ٣ .

آياته تفسيراً مختصراً يبين وجه التشريع أو الموعظة فى الآية . وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرأوا إن شئتم (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)[1] على أنه قد لا يوضع موضع الاعتبار كل ما جاء من الحديث فى التفسير ، فأحمد بن حنبل – فى القرن الثالث الهجرى يقول: ثلاثة أشياء لا أصل لها ، التفسير والملاحم والمغازى[2] . ولعله يقصد التفسير الذى خلط فيه الناس بين الصحيح وغير الصحيح من الحديث ، مما كان مدار أخذ ورد وقول كثير فى عصره .

وبدأت مدرسة الرسول ترسم خطاه فى التفسير ، وتحفظ ما نقل عنه وترويه ، وقد تتزيد فيه بحذر فى شرح لفظ غريب ، أو بيان حكمة وموعظة فيه. ونشأت طبقة القراء فى صدر الإسلام ، تحفظ القرآن وتلم ببعض التفسير على النحو السابق . ويبعث بها الرسول إلى القبائل يعلمونهم القرآن ويفقهونهم فى معانيه . وكان التفسير والمدارسة فى هذا الوقت منصبًّا على الجانب الدينى – بطبيعة الحال – ، ومن هذه المدرسة الأولى جماعة الصحابة ، وكانوا أعلم الناس بما جاء فى القرآن لملازمتهم للنبى وأخذهم عنه ، ولأن لهجته هى لهجتهم ، فلم يكن فيه ما يصعب عليهم فهمه بوجه عام ؛ غير أنهم لم يتصدوا لتفسيره ، تحرجاً ، أو لعدم حاجتهم فى ذلك الوقت إلى ذلك ، والوحى قريب العهد إليهم ، ومعانى الذكر لا زالت ماثلة فى أذهانهم والرسول يردده عليهم صباح مساء فى الصلوات .

وعلى الرغم من هذا لا نعدم آثاراً قليلة لتفسير الصحابة الأول . وقد يقال: إن الصحابة وهم أهل الحجاز وأصحاب اللغة التى نزل بها القرآن – لم يفهموا بعض الغريب فى آيات الكتاب ،من ذلك ما أخرجه أبو عبيد فى الفضائل عن إبراهيم

(١) ضحى الإسلام – ١/١٣٨ .
(٢) المذاهب الإسلامية لجولد تسيهر / ٥٥ .

التيمى أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) فقال : «أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم » . ونقل عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر «وفاكهة وأبًّا» فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأبّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو الكلف يا عمر [١] ومنه أيضاً ما قيل من أن عمر سأل عن معنى التخوف فى قوله تعالى : (أو يأخذهم على تخوف)[٢] . فيقوم له رجل من هذيل يفسر له الكلمة ويقول : التخوف عندنا التنقص ، ثم ينشد :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْها تَامِكًا قَرِدًا كما تَخَوَّفَ عودَ النبعةِ السَّفنُ[٣]

قد يكون صحيحاً أن الصحابة استعصى عليهم فهم بعض الغريب ، وقد يكون إحجامهم عن التفسير تحرجاً من القول فى القرآن بالرأى ، وعلى أية حال وفى كلا الأمرين فالصحابة كانوا أقدر الناس على معرفة مرامى القرآن ومعانيه ، وقد يختلفون فى الفهم — بطبيعة الحال — على قدر إلمامهم ومعرفتهم بأساليب الكلام وبالشعر ولغة العرب وعاداتهم ، فمن كان منهم أكثر إلماماً بهذا أو بعضه كان أكثر معرفة وأوسع فهماً لمعانى القرآن وغريب ألفاظه[٤] .

وهذا لا يمنع من القول بوجود روح التحرج بين الصحابة ، تأخذ بأزمة عقولهم فتحجم عن القول فى كلام الله بالرأى ، أو تفسيره بالشعر ، تأدباً ، أو خوف الوقوع فيما لم يكن القرآن يقصد إليه . وقد انقسم الصحابة فى صدر الإسلام قسمين . متحرج من القول فى القرآن ومن هؤلاء أبو بكر وعمر ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم . وكان عبد الله يأخذ على ابن عباس تفسيره القرآن بالشعر .

والقسم الثانى الذين لم يتحرجوا وفسروا القرآن حسب ما فهموا من الرسول أو

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى — ١ / ١٩٦ .
(٢–٣) فجر الإسلام ١ / ٢٣٢ .
(٤) فجر الإسلام ١ / ١٩٦ .

حسب فهمهم الخاص بالمقارنة إلى الشعر العربى وكلام العرب . ومن هؤلاء على ابن أبى طالب وعبد الله بن عباس ومن أخذ عنهما. وقد وقف ابن عباس على رأس المفسرين بالرأى المتخذين شعر العرب وسيلة إلى كشف معانى القرآن . وكان على بن أبى طالب يثنى على ابن عباس ويقول : كأنما كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . ومن هؤلاء أيضاً ابن مسعود ، وأبىّ بن كعب وغيرهما وتبعهم الحسن البصرى، وسعيد بن جبير ،ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم[١].

وهؤلاء المفسرون من الصحابة والتابعين كانوا ينتهجون منهجاً يتلخص فى الاسترشاد بحديث رسول الله ، وبروح القرآن ، وبالشعر العربى والأدب الجاهلى بوجه عام ، ثم عادات العرب فى جاهليتها وصدر إسلامها وما قابلهم من أحداث وما لقى رسول الله من عداء ومنازعات ، وهجرة وحروب[٢] .

وشق ابن عباس طريقه بين هؤلاء جميعاً ، متزعماً مدرسة خاصة تسلطت على التفسير وطبعته بطابعها ، واعتبر هو نفسه خارجاً على المعهود فى التفسير من معاصريه من أصحاب النبى [٣] . وقد أورد السيوطى فى الإتقان مسائل ابن الأزرق المائة فى القرآن ، وجواب ابن عباس عليها بالشعر مفسراً غريب كل آية ببيت، ويقول ابن عباس فى تفسير القرآن بالشعر : إذا تعاجم شىء من القرآن فانظروا فى الشعر فإن الشعر عربى[٤] . ويقول : إذا سألتم عن شىء من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب[٥] . وكان إمام ابن عباس واسعاً بلغة القرآن ومعانيه حتى إنه قال : كلّ القرآن أعلم إلا أربعا ، غسلين ، وحناناً ،

---

(١) التسهيل فى علوم التنزيل لابن جزى الكلبى ١ / ٩ .

(٢) فجر الإسلام ١ / ٢٣٦ .

(٣) انظر جواد تسير — ٦٩ .

(٤) جولد تسيهر عن الطبرانى ٧ / ١٢٩ .

(٥) مشكل القرآن — مخطوط — / ٤٧ .

وفى الإتقان للسيوطى : « وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه » . وقال ابن عباس : إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب . (٢ : ٢٠٦) .

والأوّاه ، والرقيم[١]. وقد بدأت بمحاولات ابن عباس فى التفسير مدرسة جديدة تكشف عن أسلوب القرآن ومعانيه بمقارنته بالأدب العربى شعره ، ونثره . وبذلك مهد لكثير من العلماء اللغويين من بعد لكى يتصدوا لأسلوب القرآن فيشرحوا غريبه بالشعر والمثل والكلام الفصيح . ومهد هذا لقيام حركة واسعة لجمع اللغة والشعر من مضارب الخيام ، وبوادى العرب، ليواجهوا ما فى القرآن من الغريب الذى ابتعدت به الشقة عن الحجاز وقلب الجزيرة فى العراق وفارس ، والشام وغيرها من الأمصار الإسلامية، وتلقط العلماء ما كانت تجود به ألسنة الأعراب من أمثلة توافق ما يجرى فى آيات القرآن . وكانت هذه الحركة الكبرى سبباً فى حفظ العربية من الضياع ، وتنقيتها أيضاً من الدخيل ، كما حافظت على القرآن فظل متدارساً مفهوماً فى غير بلاده التى نزل بلسان أهلها .

وصاحب حركة جمع الشعر واللغة حركة أخرى هى محاولة ضبط التراكيب اللغوية فى القرآن وغيره. واستقل بهذا علم النحو . وحاول النحويون أن يسهموا فى التفسير فبرزت جهودهم إلى جوار جهود اللغويين .

وكان بين علماء التفسير فى القرنين الثانى والثالث من يتحرج من القول فيه بالرأى ، والفهم الشخصى ، ومنهم الشعبى . وقد رأى رأى المفسرين فى التحرج بعض علماء اللغة مثل يونس بن حبيب والأصمعى .

والعلماء بين متحرج ومجيز يجرون بين وجهتى نظر ، إحداهما وهى التى يخضع لها المتحرجون تقول بعدم جواز القول فى القرآن بالرأى لما روى عن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : « ما كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يفسر القرآن والآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل »[٢] . والثانية جواز التأويل والاستشهاد بالشعر العربى لأن القرآن نزل « بلسان عربى مبين » ، كما جاء فى آية منه[٣]

(١) المزهر للسيوطى ٢ / ١٩٢ .
(٢) التسهيل — ١ / ٩ .
(٣) الشعراء ١٩٥ .

وفى آية أخرى :(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) : فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبى صلى الله عليه أن يسألوا عن معانيه ، لأنهم كانوا عرب الألسن واستغنوا بعلمه عن المسألة عن معانيه[١] ، وإلى ذلك ذهب ابن خلدون أيضاً . وابن قتيبة يقول : إن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى الغريب والمتشابه[٢] .

والرأيان الأخيران يتلاقيان فى وجوب قيام اللغويين والأدباء بشرح القرآن وتفسير ما فيه من الغريب بدليل قيام أبى عبيدة — وهو صاحب الرأى الأول ، وابن قتيبة — صاحب الرأى الثانى — بدراسات شاملة لأسلوب القرآن فى كتابى « مجاز القرآن » . و « مشكل القرآن » .

ولم يدم التحرج من اللغويين طويلاً ولم ينتشر ، لأنه لم يستطع مغالبة الحركات الفكرية الجديدة التى طغت على الفكر العربى فى القرن الثالث ، وبدأت موجة التحرج التقليدية تنحسر فى هذا القرن . وبدأت الدراسات القرآنية مرحلة جديدة ، فقد أمكن الوقوف عند القول المنقول ، وداخل النقل محاولات فهم شخصى بدأت تزداد وتتأثر بالمعارف المختلفة[٣] .

وبدأ فى هذا القرن أيضاً التزاوج بين التيارات التقليدية والجديدة وتداخلت الحركة اللغوية مع التفسير المأثور ، واقتبس هؤلاء وهؤلاء من أصحاب الرأى من المتكلمين والمعتزلة حرية الفكر ، وظهرت فى الدراسات القرآنية آفاق جديدة نتيجة لجهود المتكلمين والمعتزلة ومن نهجوا نهجهم . وهكذا تساط المتكلمون على هذه الدراسات فى آخر القرن الثانى وطبعوها كلها بطابعهم ، حتى إن بعض اللغويين والنحويين تأثروا بهم أمثال الأخفش ، أبى الحسن سعيد بن مسعدة ،

(١) محمد القرآن — مخطوط مقدمة .

(٢) مادة صبر لأمين الخولى بدائرة المعارف الإسلامية .

(٣) نفس المصدر .

والقراء . بل إن بعض زعماء أهل السنة والحديث تأثر بطريقة المعتزلة أيضاً ، ومنهم بل على رأسهم ابن قتيبة .

وبرزت فى القرن الثانى محاولات شتى لتدوين التفسير فى صور عديدة ، اختلفت باختلاف العلماء ومذاهبهم ، فاللغويون والنحويون طبعت كتبهم باسم « معانى القرآن » . وها هو ذا أبو الحسن الكسائى (ت ١٨٣ هـ) يؤلف كتاباً فى معانى القرآن . وأبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش له كتاب بهذا الاسم . قال الزبيدى[1] قرأ الكسائى عليه كتاب سيبويه ، وأعطاه سبعين ديناراً وسأله أن يؤلف كتاباً فى معانى القرآن ففعل ، فجعله إماماً وعمل عليه كتاباً فى المعانى أيضاً. وألف أبو جعفر الرؤاسى والنضر بن شميل — المازنى — والفراء ، والزجاج ، وأبو على الفارسى . وأبو جعفر النحاس وقطرب كتباً فى معانى القرآن . وهم من رجال القرنين الثالث والرابع .

واتسمت كتب أخرى فى القرآن بالطابع اللغوى الذى يتناول معنى اللفظ من قريب على ضوء الشعر القديم وكلام العرب ، ورتبت هذه الكتب حسب سور القرآن أو حسب أحرف الهجاء فيما بعد بتناول الكلمات المفردة . ومن هذه الكتب يبرز كتاب أبى عبيدة « غريب القرآن » ، و « غريب القرآن » لمؤرج الدوسى ، ولابن قتيبة ، واليزيدى ومحمد بن سلام الجمحى ، وأبى عبد الله بن عرفة.

ويتخير بعضهم جوانب معينة فى اللفظ القرآنى ، يوجهون إليها عنايتهم اللغوية مثال ذلك كتاب « لغات القرآن » للأصمعى ، و « لغات القرآن » للفراء ، وأبى زيد ، ثم « المصادر فى القرآن » للفراء أيضاً ، وكتاب « الجمع والتثنية له » .

ووجه بعضهم عنايته للأسلوب القرآنى ، والمعانى ، والنظم وصلته بالمعنى واللفظ ، وهؤلاء استرعى اهتمامهم فنون التعبير فى القرآن . ومن هؤلاء أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب « مجاز القرآن » والجاحظ فى كتاب « نظم القرآن » ،

(١) طبقات النحويين للزبيدى ١٦ مستخرج من "Rivista Degli Orientali" Vol. VII.

وابن قتيبة فى كتاب « مشكل القرآن » مع تفاوت بينهم فى القيمة والتناول ، كل حسب مذهبه .

وكانت لغة القرآن وأسلوبه شاغل علماء اللغة والبيان فى القرن الثالث الهجرى وتفرعت بحوثهم وانتظمتها جداول ثلاثة . أما الجدول الأول ، فهو التفسير المأثور ، وهو مجموعة من الأحاديث والأخبار والسيرة وعادات العرب وأخبارهم مشفوعة ببعض الشواهد الشعرية ، وهذا التفسير كله منقول عن التابعين والصحابة ، وقد يرفع لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونراه مدوناً فى كتب التفسير مشفوعاً بالسند ، وعرف أصحاب هذا المذهب باسم المفسرين ، أو أصحاب التفسير . . . إلخ . ومثال هذا النوع من الدراسات القرآنية واضح فى تفسير الطبرى . وهو مفيد من وجهة النظر الدينية وتاريخ التفسير .

أما الجدول الثانى فهو التفسير اللغوى النحوى ، وكان يمد هذا الجدول علماء اللغة والنحو ببحوثهم ، واتجلوا من غريب ألفاظ القرآن ، ولغته ، وتراكيبه ميداناً لهم . وحاولوا التعرف على ألوان الغريب فى الألفاظ ، فهى إما عربية أصيلة ، أو دخيلة فارسية أو نبطية أو حبشية ، أو يمنية ، أو رومية ، أو غيرها من لغات البلدان المحيطة بجزيرة العرب ، والتى أثرت فى لسانهم بحكم التلاصق والتجارة وغيرها . وقد حاول جماعة علماء العرب أن يثبتوا عربية الألفاظ ، اعتباراً للمفهم الحرفى لقوله تعالى : (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) [1] . ونرى هذا الاهتمام واضحاً فى مقدمة « مجاز القرآن » لأبى عبيدة ، و« مشكل القرآن » لابن قتيبة ، ثم مقدمة « تفسير الطبرى » . وقد رجعوا فى غريب العربية إلى البادية وألموا باللهجات المختلفة للقبائل ، وجمعوا الشواهد ، وتفرعت دراسات الغريب إلى محاولات لغوية بعيدة عن النص القرآنى لحفظ اللغة وتنقيتها ، كما فعل ابن قتيبة فى « أدب الكتاب » ، وثعلب فى « الفصيح » ،

(١) ١٠٣ النحل ١٦ .

وكانت هذه تتعلق باللفظ المفرد وصحة استعماله ، وصحة عربيته ، وصيغته ، وإلى جانب هذه البحوث قامت بحوث أخرى تتعلق بالمعنى اللفظى أو المدلول ، وصلة اللفظ بالمعنى العام للعبارة ، وهذا واضح فى كتب الأضداد للأصمعى وأبى حاتم ، وابن الأنبارى وغيرهم ، ثم الجانب التركيبى الجرسى أو الموسيقى للفظ ، وصلته بالمعنى وربط العبارة ، وهو ما انتهى إلى علم الجناس فى البديع ومن هذه الكتب كتاب « الأجناس » للأصمعى و « الأجناس » لأبى عبيد القاسم بن سلام ، وغيرها وغيرها مما كان القرآن الدافع الأول إليه ، وسنعرض له بعد تفصيلاً[١] .

والجدول الثالث يجرى ببحوث البيان وفنون التعبير المختلفة فى القرآن ، أو بالمعانى التى تجرى وراء النظم القرآنى ، وصلة هذا النظم بها ، وهذه الناحية خطيرة فى تاريخ النقد الأدبى العربى لما لها من أثر كبير فى توجيه الدراسات البيانية فى الأدب على ضوء ما توصل إليه العلماء فى أسلوب القرآن . والقرآن كتاب عربى مبين لكنه كان جديداً فى أسلوبه[٢] معجزاً ، وهو مع ذلك لم يخرج عن أساليب العرب وعاداتهم فى نظم الكلام ، وكان طبيعيًّا أن يجمع أساليب العرب فى التعبير ؛ من قواعد فنية وتركيبية ، ففيه الحقيقة ، وفيه المجاز ، وفيه الكناية . . . وغيرها على أساليب العرب ونمطهم[٣] .

ومع هذا التشابه الظاهرى بين أساليب العرب فى نثرهم وشعرهم بقيت للقرآن ميزة جعلته المثل الأعلى للبلاغة العربية عند جماعة العلماء فى الأدب والبلاغة ، بل إن بعضهم يرى أن نظم القرآن خارج عن فنون القول عندهم وعن صنوف بلاغتهم[٤] . ومن هنا نشأت دراسات البيان القرآنى التى تفرعت منها

---

(١) انظر الباب الثانى .

(٢) طه حسين فى الأدب الجاهلى / ٧١ .

(٣) فجر الإسلام ١/٢٢٩ .

(٤) وهو مضمون رأى الباقلانى فى كتاب إعجاز القرآن ، وسنتعرض له بالتفصيل فى الباب الثالث .

دراسات الإعجاز من بعد ، وقد حاولت هذه الدراسات أن تصل إلى رأى فى كنه البيان القرآنى ، والسر فى بديع نظمه وعجيب رصفه ، وبدأت محاولات شتى فى القرن الثالث ، انتهت بقيام علم مستقل بها فى القرن الرابع هو «علم إعجاز القرآن» ثم تطورت دراسات البلاغة وانفصالها وتأثرها بدراسات الإعجاز عامة .

ولا يهمنا فى هذا المجال أن نتبع الجدول الأول من هذه الجداول الثلاثة التى ظلت تمد الثقافات العربية ، والفكر العربى أزماناً طويلة ، لأن ذلك الجدول يهم باحثى التفسير وتاريخه ، وأما ما يهمنا فالجدولان الأخيران ـ حيث تجرى علوم اللغة والأدب مزودتين من فيض القرآن بمدد عميم .

وأول ما يطالعنا فى آخر القرن الثانى من دراسات القرآن ، الدراسات اللغوية ، والنحوية لأسلوب القرآن ، أما اللغوية فيضطلع بها هنا أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب «مجاز القرآن» وأما النحوية فيضطلع بها أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء فى كتاب «معانى القرآن» .

وتأتى بعد ذلك الدراسات البيانية لأسلوب القرآن فى القرن الثالث ، ويبدؤها المعتزلة ، ومثل هذه الدراسة هنا كتاب «نظم القرآن» للجاحظ . ثم لا يترك أهل السنة المجال للمعتزلة وحدهم بل يشاركون فيه بجهودهم ويبرز فى الميدان كتاب (مشكل القرآن) لابن قتيبة .